وينذر حصول التلقيح في أعضاء التناسل . ومدة التفرخ من أسبوعين الى أربعة، يظهر بعدها في مكان التلقيح دمل يتقرح أو يستحيل الى مادة كالازرار اللحمية تبرز من الجلد ، وتضخم العقد اللمفاوية التي حولها وقبل أن تتقيح

هذا هو الطور الاول . أما الثاني فيظهر بعد شهر أو ثلاثة من مبدأ ظهور الطور الاول، ويسبقه توعك وحمى ثم تظهر دمامل صغيرة جدا في أول الامر ثم تكبر حتى تصير نحو بوصتين أو أقل وهي تشبه التوت الشوكي ، وهذه أيضا تتقرح . وهي تصيب كل أجزاء سطح الجسم . والطور الثالث كطور لاورام الدغية الافرنجية

ويكروب هذا المرض من نوع المكورنيات ويوجد في الدمامل والقروح وفي الطحال والعقد اللمفاوية وغيرها . ويمكث المرض سنة أو عدة سنين، وقل أن يميت

المعالجة — تكون بحقنة الدافرسان، وكان يعالج قديما كالافرنجي بمركبات الزئبق واليود والزرنيخ، وتعالج القروح بالمطهرات كالمعتاد

الى هنا انتهى الجزء الثاني وسيليه ان شاء الله الجزء الثالث ويبدأ بالامراض التي لم تعرف ميكروباتها الى الآن

ترجمة الشيخ عبد الرزاق البيطار

بقلم حفيده الشيخ محمد بهجة البيطار

[عبد الرزاق بن حسن بن ابراهيم بن حسن بن محمد بن حسن البيطار الدمشقي]

في عاشر ربيع الاول من سنة ١٣٣٥ فجعت دمشق الشام، بوفاة أكبر وأشهر علمائها الاعلام ، علامة الاقطار ، الاستاذ الجد سيدي الشيخ عبد الرزاق البيطار رحمه الله رضي عنه ولقد كانت وفاته خسارة عظمى على المسلمين والاسلام ، والبك نبذة يسيرة من ترجمة حياته

مولده وتحصيله

ولد المرحوم بمحلة الميدان من دمشق الشام سنة ألف ومائتين وثلاث وخمسين سنة ١٢٥٣ وشب لنجيب تعلم القراءة والكتابة ثم حفظ القرآن الكريم وجوده على

الشيخ الفاضل أحمد الحلواني شيخ قراء الشام ثم حفظ المتون في مبادي العلوم على والده العلامة الجليل المتفنن الشيخ حسن البيطار وكان يحضر دروسه الخاصة والعامة ، ثم في أول رمضان سنة ١١٧٢ توفي والده رحمه الله فقرأ على شقيقه الاكبر الشيخ محمد فقه أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه وأخوه هذا كان أمين فتوى دمشق يوم كان مفتيها العلامة الشهير محمود أفندي حمزة ، وأخذ عن شقيقه الثاني العلامة الشيخ عبد الغني علم القراءات ثم لازم دروس العلامة المحقق الشيخ محمد الطنطاوي فأكمل عليه العلوم العربية والشرعية ، وتوسع في المعقول والمنقول وأخذ عنه علم الميقات والفلك والحساب ثم صحب العارف بالله تعالى الامير عبد القادر الجزائري فقرأ عليه جملة من كتب الحقائق وأعظمها الفتوحات المكية

صحبته للامير عبد القادر

لازم فقيدنا المرحوم الامير الملازمة التامة ، وأخذ عنه الفصل بالعدل في القضايا العامة ، ولقد كان يرد على الامير قدس سره كثير من الخصومات بين الخلق ، اذ كان هو المرجع للناس في دمشق ، فكان محولها اليه ، ويحيل أصحابها عليه ، فيكون قوله الفصل ، بإجراء الحكم على سنة العدل ، ولقد استفاد المرحوم من أخلاق السيد وآدابه ، حتى عد ثاني الامير في حياته وعهد اليه تربية أولاده وتعليمهم ، وكنت أسمع من أصدق أصدقاء المرحوم علامة الشام الثاني فقيد الاسلام شيخنا الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله أن أدب الاستاذ أدب الملوك قلت صدق رحمه الله ويعرف ذلك كل من جلس اليه وسمع حسن عبارته ورأى لطف اشارته

صدعه بالحق وتأثير أفكاره

كان عصر المرحوم الذي تلقى فيه دروسه الشرعية عصر جمود على القديم ، وتلقي الاقوال بالتسليم من دون تمحيص الصحيح من السقيم ، فاستمر فقيدنا على طريقة معاصريه متأثراً بها الى ما بعد الخمسين . ولقد سمعته في منزله يقول لعلامة العراق السيد محمود شكري الآلوسي لما كان نزيل دمشق سنة ١٣٣٣ وقد جاء ذكر أحد أئمة الاسلام العظام — كنا أيام التحصيل عند شيوخنا اذا ذكر مثل هذا الامام نظنه رجلا خارجا عن دائرة الاسلام ثم ألهمه الله تعالى الاخذ من الكتاب والسنة

وعدم قبول رأي أحد من دون حجة كما كان على ذلك سلف الامة ، وكما أوصى جميع لائمة رضي الله تعالى عنهم بعدم الاخذ بقولهم الا بعد معرفة دليلهم فصار يأخذ الاحكام بالدلائل ، ويقبل قول الحق من أي قائل ، ويصدع به ولا يخاف في الله لومة لائم ، قال كل العلم لصحيح أخذ المسائل بأدلتها — كما يقولون — فهو فريد في بلاد الشام من أول العلماء بلا نسبة ولا مراء ، لانه أول من أخذ بالدليل ، وجاهد في هذه السبيل ، ورفع فوق رؤوس أهل الحق راية السنة والتنزيل .

وكان رحمه الله تعالى فصيح اللهجة ، قوي الحجة ، غزير المادة ، وكان لدى مناظريه البطل المغوار والبحر الزخار ، لا يشق له غبار ، وما ناظره أحد الا واعترف له بالسبق في هذا المضمار ، وكان له مع صديقه المرحوم القاسمي مساجلات علمية ومحاورات أدبية ، تشف عن سعة علم وأدب جم

وكان له في المسائل القريبة ، أساليب في الاقناع عجيبة ، فمنها ان بعضهم زعم مرة انه يجب القيام ، عند ذكر ولادة الرسول عليه الصلاة والسلام ، — وجوبا بدعيا — تعظيما له صلى الله عليه وسلم وألف في ذلك رسالة ، وحملها المنتقد ليكتب له عليها تقريظا ، فاعتذر اليه ، فألح عليه ، وأخيراً قال له الاستاذ المرحوم : أنت مقصودك من هذه الرسالة انه اذا قيل ولد الرسول عليه الصلاة والسلام يجب القيام؟ قال نعم . قال والذي لا يقوم عند ذكر ولادته (ص) ؟ قال يكون آثما لانه ترك واجبا قال : فكل قيل ولد الرسول (ص) يجب ذلك ؟ قال نعم . فعندئذ قال له الاستاذ : هل أنا قد ذكرت لك ولادته (ص) ثلاث مرات فلم لم تقم ؟ فقال له لانه لا يوجد هنا الآن مولد ، فأجابه الاستاذ أنت اذاً تقوم تعظيما لما اشتمل عليه المولد لا لمن ولد ! فخجل ولم يجب ، ثم أرشده الاستاذ الى ان تعظيم النبي (ص) الحقيقي باتباعه في أقواله وأعماله ونشر هدايته التي جاء بها من ربه مشتملة على سعادة خلقه .

خلقه وخلقه

كان المرحوم طويل القامة جميل العمامة والهيئة ، جليل المهيبة والوقار ، يكاد سنا برق جماله وجلاله يذهب بالابصار ، كلامه السحر الحلال ، وأدبه ألعب بالعقول من الغيث في الحقول ، أما رقة شمائله (رحمه الله تعالى) فلا أعلم له بها نظيرا في

العلماء الاعلام من بني الاسلام ، ولقد كان الاستاذ القاسمي رحمه الله مولعا بسمو أخلاقه ، ومعجبا بعظيم آدابه ، وناهيك بذوق الجمال الذي كان معدن اللطف والظرف . وقال لي مرة بعض الافاضل : ليت الاستاذ يكتب لنا رسالة في الاخلاق يستمليها من صفاته وآدابه فتكون أنفع ما كتب في هذا الفن . ولقد قلت مرة لاستاذنا القاسمي رحمه الله تعالى : اني قد عرفت كثيرا من العلماء وخالطتهم فلم أجد أكرم منكما (أي هو والاستاذ الجد رحمهما الله تعالى) عشرة ، ولا أرق عاطفة ، ولا ألطف روحا ، ولا الطف حديثا ، مع ما رزقتما من سعة العلم والفضل ، فأنا لا أريد أن أفارق مجلسكما ولو الى النعيم ، ولا أمل حديثكما ولو استمر سنين . فقال لي : لهذا السر نحن لا نأنس بغيرنا كما نأنس ببعضنا ولا نسر اذا كنا منفردين . وقال لي مرة رب السيف والقلم الامير محي الدين باشا الجزائري نجل الامير عبد القادر (رحمهما الله تعالى) ما معناه : ان المرحوم أديب متانة وكلاما جذابا أكسبه ثقة الامراء ، ومحبة العظماء ، ونزل من نفوسهم منزلة رفيعة لا يدانيه فيها أحد من العلماء

وكان (رحمه الله تعالى) يراعي في مجلسه الطبقات ، ويعطي كل انسان نصيبه من الالتفات ، ومن عجيب أمره قدس الله روحه أنه كان يجالس اليه العالم والكاتب والشاعر والزارع والصانع والتاجر في مجلس واحد فيتبادل الافكار والآراء مع كل واحد منهم بما يفيده به الفوائد الجمة حتى يخرج الكل من عنده فرحين مسرورين

وكان (رحمه الله تعالى) واسع الصدر جدا ، كريما مضيافا ، يغضب للحق ولا يغضب لنفسه أبدا ، وكان يتحمل من الناس فوق ما يتحمل ، ومن سعة صدره وشدة تحمله أنه مهما اشتد به الغضب لمسألة ما فلا يبدو شيء على أسارير وجهه

والحاصل انه ليس في وسعي أن أحيط بمكارم أخلاقه وحسبي أن أقول انه كان بها قدوة وكان مصداق قوله تعالى (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) صبية علم الشام له ، وثناؤه في دينه عليه ، وما كتبه عنه في حادثة سنة ٢٤

كان أشد الناس محبة للمرحوم وملازمة له صديقه الابر الشيخ جمال الدين القاسمي فهو مرافقه ومريده العظيم الذي كان له معه أدب الولد البار مع أبيه ، قرأ عليه رسالة في الفلك وكان يدونها درسا بخطه ، ويكتب على هامشها تقرير الاستاذ

بنصه ، ولقد حضرت على المرحوم القاسمي مع تلاميذه دروسه في بيته وبجامعه ومدرسته نحو ثلاث سنوات فدر جدا أن يمر يوم يذكر لنا فيه الاستاذ المرحوم الا ويقرر لنا فيه عظمته ، أو يطرفنا بنادرة مما اتفق له معه أو مع غيره ، واذا ذكره في الدرس فيذكره دائما بلفظ شيخنا ، وكان يعده عالم الشام ، وأذكر أنا كنا مرة نقرأ عليه في فن البيان (باب القصر) فقال في مثال قصر الصفة على الموصوف قصرا ادعائيا : لا عالم الا الشيخ عبد الرزاق البيطار : قال مع انه يوجد غيره ممن يسمون بالعلماء ولكن مع حشو وجمود فلا يعتد بعلمهم

وأخبرني عم والدي المفضال شقيق المترجم سيدي الشيخ محمد سليم البيطار بأنهم لما كانوا في مصر سنة ٢٩ كان مفتي الديار المصرية الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يجل الاستاذ المرحوم كثيرا ، ولا يتقدمه أبدا ، حتى ظن بعض أفاضل العلماء في مصر بأن الاستاذ الامام قد تلقى العلم عن المرحوم أيام كان في بلاد الشام

واليك ما كتب عنه الاستاذ القاسمي بخطه في حادثة سنة ٢٤ التي جرت للمترجم مع بعض العلماء ، شأن قبور الانبياء والاولياء بتزوير بعض السفهاء قال : ان الشيخ عبد الرزاق البيطار ذلك العالم الجليل — ممن اشتهر بالانكار على أرباب الخرافات ، وممن يقاوم بلسانه وبراهينه تلك الخزعبلات ، فانه ممن لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يعده عتب عاتب ولا قومة قائم ، وله صدق بالحق عجيب ، وعدم محاباة ومداراة ، وكل ما يروى من حكايات المتقدمين فانه يزنه بميزان العقل فان أباه رده جهارا ، وقابل قائله بالصد انكارا ، وطالما صرح بالسخرية ممن ينادي من يعتقد فيه العامة من الاموات ، ويستشفع به في قضاء الحاجات ، ويعرفهم ما قاله السلف في هذا الباب من أنه أمر ما أذن الله به ، اذ أمر بدعوته وحده فدعاء غيره مما لا يرضاه كما صرح به في غير آية من كريم الكتاب ، وقصده ترقية العامة عن نداء أحد الا الله ، وتعليق القلب الا بالخالق تبارك وتعالى . انتهى

صبره واحتسابه

مر على فقيدنا المرحوم — كما مر على فطاحل الرجال وأساطين العلم والحكمة قديما وحديثا — كثير من المصائب والمحن ، فكان بها مثال للصبر والثبات ، وانما كانت

تدار تلك التدابير السيئة يد بعض المدلسين والمفسدين ، ومن لا خلاق لهم من الملحدين ، وأبلغ بعضها : انهم تأسيس مذهب جديد و بتسليم سورية لنجد ومصر للانكليز وذلك سنة ٢٤ وكان مما قاله لوالي سورية اذ ذاك [هو شكري باشا وكان رجلا عاقلا جدا] : هل سورية ومصر — ياحضرة الوالي — تفاحتان في جيبي حتى أسلمهما ؟ ثم ان كان في امكاني أن أتعرف بهما وأسلمهما للغير فلم لا أبقيهما لنفسي ؟ ووراء ذلك فان كان يتيسر لشلي تسليمهما فرجل أقدر مني يسلم البلاد العثمانية كلها للاجانب وأين الحكومة وقوتها ؟! فتجلد الوالي وقال : أنا أعلم ان هذه وشايات وأراجيف لا أصل لها ولكني دعوتك عندي من أجل أن آنس بك وأفطر هذا المساء معك وكان ذلك في رمضان سنة ٢٤

وفتشت كتبه وداره مرات متوقعين أن يعثروا عنده على بعض أوراق سياسية أو مخابرات سرية فيسجنوه أو ينفوه ، ولكن طاش سهمهم فان الاستاذ (رح) لم يشتغل بالامور السياسية ، ولم تكن كتب العلم تنزل عن يده الا لحاجة ضرورية .

زهده في الوظائف ، و بعده عنها ، وخدمته للعلم

كان المرحوم بعيداً عن التربع في المناصب ، والاغترار بالمظهر الكاذب ، ولقد عرض عليه — اذ كان في الاستانة سنة ١٤ — من قبل المشيخة الاسلامية الافتاء أو القضاء في مدينة من أمهات المدن السورية ، فرفض كل وظيفة غير خدمة العلم الصحيح ونشره في طبقات الامة بالتعليم والارشاد والتصنيف ، ولكل أثره كما قال عالم الشام جمال الدين ، أكبر من أثره كحكيم الاسلام جمال الدين

وكان رحمه الله تعالى يلقي دروسه العامة في جامع كريم الدين الشهير بالدقاق في محلة الميدان ، ودروسه الخاصة في حجرته من ذلك الجامع وفي بيته أيضا ، وقد انتفع به كثير من الطلاب ، وحضرت عليه في دروسه العامة والخاصة طائفة من كتب التفسير والحديث والفقه ، هذا دروسي الخاصة التي كنت أقرأها عليه على انفراد و بعد أن وقع الانقلاب سنة ٢٦ وأصبحت الحكومة دستورية شورية ، ثم بويع السلطان محمد الخامس بعد خلع عبد الحميد — انتخبته دمشق مع بعض رجالها لمبايعة السلطان محمد ولتقديم واجبات التهاني والتبريك له فكتبت عنه في ذلك جرائد

العاصمة التركية ، ماوردت صداه الجرائد العربية السورية، ثم ملأت هذه أعمدتها من آيات الشرف والافتخار ، برجوع شيخ الديار الشامية الى الديار

تآليفه

أما تآليفه فتبلغ بضعة عشر كتاباً بعضها ديني وأكثرها أدبي وأكبرها تاريخه في رجال القرن الثالث عشر ذكر فيه المشاهير وغيرهم، وكان أذن لي باختصاره ، وتآليفه الدينية منها : المنة ، في العمل بالكتاب والسنة . والمباحث الغرر، في حكم الصور . والحجة في الاقتداء حال التشهد من صلاة الجمعة ، وشرح العقيدة الاسلامية للعلامة محمود افندي حمزة مفتي دمشق

أما رسائله وقصائده ومكاتيبه العلمية والادبية فتبلغ لو جمعت مئات الاوراق ونسأل المولى أن ييسر سبيل الجمع ، وتقديم الاهم منها للطبع ، بمنه وكرمه

نبذة من كلامه رحمه الله

نختم هذه الترجمة بايراد نبذة يسيرة من كلامه ليقف منها القارئ على مشربه في الحديث ، وتمييزه الصحيح من الضعيف ، ونقده لكلام المؤلفين ، على عادة العلماء المحققين قال رضي الله عنه في « رسالته المباحث الغرر ، في حكم الصور » التي حررها في جواب سؤال ورد من أحد علماء الهند — باختصار : ولا التفات لما نسب للفاضل أبي الوليد محمد بن عبد الكريم المعروف بالازرقي رحمه الله المتوفى — كما في كشف الظنون سنة ٢٢٧ من انه قال في تاريخه الموجود الآن في المكتبة العمومية في دمشق المحمية ، الذي ألفه في خصوص البيت الحرام فقال في مناسبة بناء قريش الكعبة ما نصه ـ مع بعض اختصار وتصرف :

وجعلوا في دعائمها صور الانبياء وصور الاشجار وصور الملائكة فكان منها صورة ابراهيم خليل الرحمن شيخا يستقسم بالازلام وصورة عيسى بن مريم وأمه ، فلما كان يوم الفتح دخل رسول الله (ص) البيت فأرسل الفضل بن العباس بن عبد المطلب فجاء بماء من زمزم ثم أمر بثوب فبل بالماء ، وأمر بطمس تلك الصور فطمست ، قال ووضع كفيه على صورة عيسى بن مريم وأمه وقال امحوا جميع الصور الا ما تحت يدي ورفع يديه عن عيسى وأمه، ونظر الى صورة ابراهيم عليه السلام

فقال قاتلهم الله جعلوه يستقسم بالازلام ما لابراهيم والازلام . انتهى

ثم ساق الازرقي هذه القصة بأسانيد عديدة مضطربة المتن ، ولذلك قال الاستاذ رحمه الله : أقول هذا الحديث الذي ذكره بصور متعددة والفاظ متقاربة من أمر النبي (ص) بمحو الصور الا ما كان من صورة عيسى ومريم لم يذكره أحد من المحدثين ولا من المفسرين ولا من أهل السير ولا ممن ألفوا المؤلفات في تاريخ بيت الله الحرام أو غيره لا ممن كان قبله ولا ممن عاصره ، ولا ممن كان بعده (الى أن قال) فان عامة أهل الشرع من الفقهاء والمحدثين على خلاف ذلك ، ولو كان ذلك له أصل لوجب عليهم استثناء صورة مريم وعيسى من عموم التحريم ، لان الاطلاق في مقام التقييد خطأ كالعكس (ثم قال) يلزم على تسليمه والنبي (ص) قد تناقض كلامه ، واختلفت في هذه المسألة أحكامه ، فتارة يعمم الامر في محو الصور وتارة يستثني عيسى وأمه بمقتضى هذا الخبر ، وتارة يقتضي انه ما دخل حتى محيت الصور كلها ، وتارة أنه دخل قبل محو شيء منها ، مع أن هذا الامر بعيد جدا بل باطل ، لا يقول عليه الا قاصر او جاهل ، فلم يبق الا أن ذلك مدسوس عليه ، ومنسوب كذبا وزورا وبهتانا اليه ، وقد تجاسر كثير من الناس من قديم وحديث ، على ذكر جمل من الكلام وسموها بالحديث ، وأدخلوها في عبارة الكتب وظنوا انها فضيلة مع انها وان كانت في الترغيب والترهيب رذيلة وأي رذيلة . وكذلك دسوا بعض عبارات ، على كثير من الافاضل والسادات ، فحينئذ لا يلتفت الى هذه العبارة التي دسها في كلامه بعض أهل الغواية ، ممن له بها حاجة وغاية ، ولم يخش من الكذب على النبي المختار ، ولا أفزعه قوله (ص) « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وظن انه يروج المحال وانه ليس في الوعيد رجال ، مع ان الشريعة محفوظة ، وبعين العناية ملحوظة ، فما أدخل قائل قولا باطلا الا ورد عليه ، ولا دس بها جاهل منكرا الا وسهام التكذيب قد توجهت اليه ، وكل ما أجاب به بعض الناس عنها من تسليم نسبتها لهذا الامام ، فانه يريد النقض لا الابرام ، ومن كان عنده جواب لائق ، ولما ذكره أهل الشرع موافق ، فليتكرم بالمباحثة في هذا المكان ، ومولاه يعامله بجزيل الفضل والاحسان إه ؟ (دمشق) [المفيد] محمد بهجة البيطار